وعدم كشف عيوبها وتفريغها من حوافز تطورها، وبالتالي جمود المجتمع وشل نزعات تطوره.

وماذا سيكون حال مجتمعنا المتخلف أصلا والمقهور من قبل الاحتلال فيما لو تم التعاطي الظالم مع المرأة والعنصر المسيحي والاشخاص الذي لا يكترثون بالدين؟ هذا سيقود لا محالة الى تعطيل أكثر من نصف قواه ومشاغلة النصفين في معارك جانبية بما يزيد المجتمع تخلفا واضطهادا.

وماذا سيكون حال مجتمعنا ان تم الاعتداء على حقوق الانسان وحقه في الاختيار والتدخل في أخص خصوصياته؟ طبعا النتيجة واضحة هي تدمير روحه واطفاء انتمائه وابداعه وحشره في ظروف لا يعيشها الحيوان، فتغتال امكانية تشغيل عقول الناس ومشاعرهم لكسر حلقة التخلف والسلبية.

ماذا سيكون حال شعبنا فميا لو حكمه زعيم ديكتاتوري قمعي أو قمعي ودموي لا يعترف بالانتخابات الديمقراطية ويضع نفسه محل البرلمان التشريعي ولا يعترف بتداول السلطة سلميا؟ سنكون كما جمهوريات الموز الفاشية في امريكا اللاتينية، وماذا وماذا...

أجل ، أجل ان الديمقراطية خشبة انقاذ وانهاض لشعبنا، وهي تلح الحاحا على مختلف المشارب الفكرية والتيارات السياسية لتمثلها والتشرب بقيمها في الحياة اليومية قبل وبعد الحياة السياسية، فلا مجال لمجتمع ديمقراطي في ميدان دون سواه، بل ها هي مجتمعات متأخرة تاريخيا كما الحال في المنطقة العربية وفى بلدان العالم النامي تسبقنا على هذا الصعيد كما الهند والباكستان والمكسيك وسيريلانكا.. وهي شأننا تنتمي للعالم النامي وتقاليدها لم تعرف الديمقراطية من زمن بعيد.

ولو سمحتم لي بالاشادة بما يلي، ألم يكن أمامنا كشعب وثورة فرصة نموذجية لتقليص فجوة التناقض الفلسطيني-الفلسطيني فيما لو سارعت القيادة المتنفذة لمنظمة التحرير باجراء استفتاء شعبي حول الانخراط أو عدم الانخراط في خط مدريد-واشنطن أو اتفاق اوسلو وترجماته ؟ ففيما لو حازت على أكثرية بسيطة أو كبيرة لأمكن الانضباط لسياستها مع استمرار معارضتها، أما في حالة ان يحصل الموقف المناهض على أغلبية فالاجدر بها ان لا تسير في هذا الاتجاه مع استمرار سعيها لكسب الجماهير.